

إنها مهنة الذهول عن العالم، والاستغراق في تأمل اللاشئ والإسراف في النوم، والتجول - وحيدا - في الغابات .. وهكذا تكشف عن أنه ينتمى إلى ذلك الطراز الفريد من البشر، وهو الشعراء ..

وكان من الممكن أن يظل شاعرا مغمورا من شعراء الريف لولا أن أحد أقاربه استدعاه إلى باريس وهناك ظل تحت رعاية رجل من رجال الحاشية .. وظل يقول عن نفسه: إنه ابن النعاس والكسل .. وأنه: أحب اللعب والحب والكتب والموسيقى والمدينة والقرية .. وأحب العالم كله وكان غاية ما يهوى: أن يهيم في حديقة، أو يتوه في غابة أو ينام على بساط من الزهور، مستغرقا في تأمل ألوانها، واستنشاق عبيرها أن يصغى - وهو سارح الخيال - إلى خرير المياه.

وحتى الأربعين لم يكن قد عرف أنه شاعر من طراز فريد، فقد وقع السيد الذى يرعاه فى محنة، سجن على أثرها، وهنا تفجر قلب الشاعر بقصيدة تمتلئ بالأسى على راعيه، وهذه القصيدة فى إخلاصها وحرارتها هى التى أكدت وجوده كشاعر من طراز خاص ..

وبجانب ولوعه بالصمت والوحدة والعزلة عن الناس أولع أيضا بالمرأة والشراب، وتسربت من بين يديه موارثاته التى باعها قطعة قطعة .. وعاش على شفة الإفلاس مرارا .. إلى أن تمتد له يد كريمة محسنة، يد امرأة جميلة ثرية تقدر الفن وترعى الأدباء، فنشرت غلالة الأمن على حياته، وألقت ظلال الحنان فوق طائرنا المهاجر، وعاش فى ظل هذه الرعاية سنين عددا ..

ولأنه ألف الوَحْدَةَ، وأحب الصَّمت، وأتقن مهنة التأمل فى العالم وفى التاريخ، لم يكن يجيد المشاركة فى الأحاديث العامة، بل كان عندما يشتد الجدل حول المسائل الشائكة فى الأكاديمية العليا كان يستغرق فى النوم .. أليس كما قال ابن النعاس والكسل ..

ولكن إنتاجه فى أقاصيص الحيوان الذى كان يستخف به معاصروه أصبح علامة من علامات تاريخ الأدب العالمى؛ فقد كشف عن عبقرية خاصة لهذا الرجل الغريب الذى ظن معاصروه - خطأ - أن خير ما كان يفعله هو الصمت